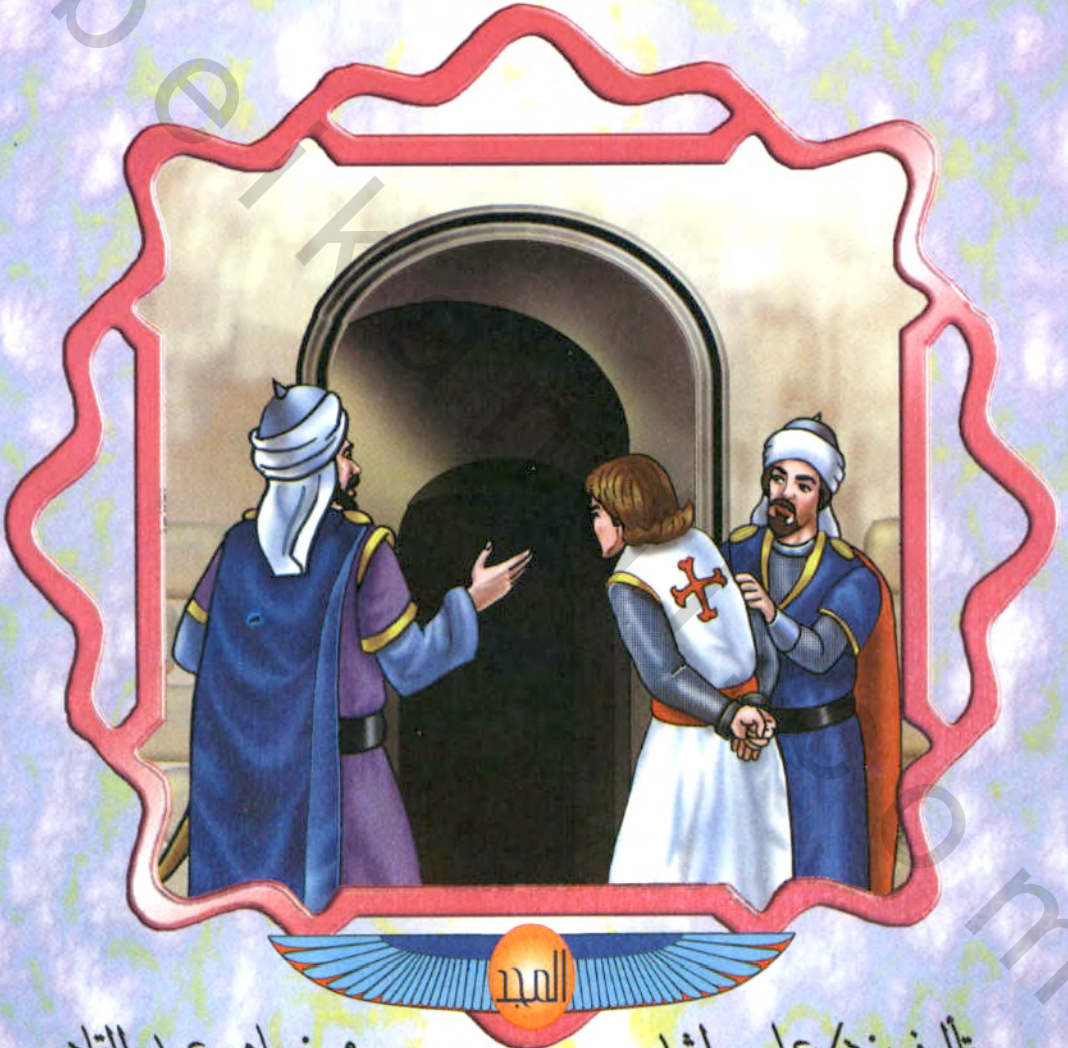




سيف الدين قطز (بطل عين جالوت)



رسم: ماهر عبد القادر

تأليف: د/ علي راشد

جميع حقوق الطبع محفوظة

برقم إيداع 2013/7079

المجد للنشر والتوزيع 0106372799

يُعَدُّ "سَيْفُ الدِّينِ قُطُزٌ" وَاحِدًا مِنْ أِبْنَاءِ أَهَمِّ الْأُسَرِ الْحَاكِمَةِ فِي
الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، وَهِيَ تِلْكَ الْأُسْرَةُ الَّتِي كَانَتْ تَحْكُمُ بِلَادَ خُوارِزْمَ
(إِقْلِيمَ كَرْمَانَ الْحَالِي جَنُوبَ إِيرانَ) فِي الْقُرْنِ الثَّالِثِ عَشَرَ الْمِئَلَادِيِّ.



وَالْأَسْمُ الْأَصْلِيُّ لـ "سَيْفُ الدِّينِ قُتُزٍ" هُوَ "مَحْمُودُ بْنُ مَمْدُودٍ"، وَهُوَ
ابْنُ أُخْتِ السُّلْطَانِ جَلَالِ الدِّينِ خُوارِزْمِ شَاهٍ "الَّذِي تَصَدَّى بَعْدَ أَبِيهِ
لِهَاجِمَاتِ الْمَغُولِ، وَحَقَّقَ عِدَّةَ انْتِصَارَاتٍ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّهُ هُزِمَ أَخِيرًا
وَقُتِلَ.



وَأَصْبَحَ "قُطْرُ" مَمْلُوكًا وَتَمَّ بَيْعُهُ ضَمْنَ مَمَالِيكَ "عِزُّ الدِّينِ أَيْبَكُ" فِي مَصْرَ.

وَأَحَبُّ الْأَمِيرِ "عِزُّ الدِّينِ" الْمَمْلُوكُ "قُطْرُ" وَعَمَلَ عَلَى تَرْقِيَّتِهِ حَتَّى صَارَ أَكْبَرَ مَمَالِيكِهِ، وَكَانَ يَحْكُمُ مَصْرَ فِي هَذِهِ الْأَوْنَةِ السُّلْطَانُ "نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ"، وَالَّذِي تَزَوَّجَ مِنْ امْرَأَةٍ قَوِيَّةٍ هِيَ "شَجْرُ الدَّرِّ".



وَوَظَّهَرَ الْخَطَرَ الصَّلِيبِيُّ الَّذِي وَصَلَ لِلْبِلَادِ مِنْ خِلَالِ حَمَلَةِ "لُويْسِ"
التَّاسِعِ" وَتَصَدَّى الْجَيْشُ الْمِصْرِيُّ بِقِيَادَةِ الْمَمَالِيكِ لِهَذِهِ الْحَمَلَةِ،
وَأَبْلَى هَؤُلَاءِ الْمَمَالِيكِ - خَاصَّةً قُطْرَ مَمْلُوكِ الْأَمِيرِ عَزِّ الدِّينِ،
وَبِيبْرَسِ مَمْلُوكِ الْأَمِيرِ "أَقْطَايَ" - بِلَاءً حَسَنًا فِي تِلْكَ الْمَعَارِكِ الَّتِي
انْتَهَتْ بِهَزِيمَةِ الصَّلِيبِيِّينَ وَأُسْرَ قَائِدِهِمْ "لُويْسِ التَّاسِعِ" فِي دَارِ ابْنِ
لُقْمَانَ فِي الْمَنْصُورَةِ.



وفى أثناء احتدام هذه المعارك مات السلطان "نجم الدين أيوب"، فأخضت "شجر الدر" الخبر حتى انتهت الحرب فأعلنت خبر موت السلطان، وطلبت من ولي العهد "توران شاه" الحضور من أحد الحصون فى فلسطين إلى مصر ليتولى عرش مصر، ولكن "توران شاه" لم يقدر لزوجة أبيه حرصها على أن يعتلى العرش، بل اتهمها بسرقة مال أبيه، فتم اغتيال "توران شاه"، وكان موته يعنى الانتهاء الفعلى لحكم دولة الأيوبيين على مصر والشام بعد استمرار دام حوالى ثمانين عاماً. واعتلت "شجر الدر" كرسي السلطنة على مصر والشام، ثم تزوجت الأمير عز الدين أيبك.



وَأَوْعَزَ الْأَمِيرَ "عَزُّ الدِّينِ" إِلَى "قُطْرَ" بِضُرُورَةٍ التَّخْلُصِ مِنَ الْأَمِيرِ
"أَقْطَايَ"، فَتَمَّ اغْتِيَالُهُ، وَفَرَّ أَتْبَاعُهُ مِنَ الْمَمَالِكِ وَعَلَى رَأْسِهِمْ
"بَيْبَرُسُ" إِلَى الشَّامِ.



وَتَأَمَّرَتْ "شَجَرُ الدَّرِّ" عَلَى اغْتِيَالِ زَوْجِهَا الْأَمِيرِ "عَزَّ الدِّينِ أَبِيكَ"
لأنَّهُ تَزَوَّجَ مِنْ أُخْتِ أَمِيرِ الْمُؤَصِّلِ، وَأَنْتَقَمَتْ ضَرْتَهَا "أُمُّ عَلِيٍّ" مِنْهَا
فَقَتَلَتْهَا، وَأَصْبَحَ وَلَدُهَا السُّلْطَانُ "مَنْصُورُ عَلِيٍّ" هُوَ سُلْطَانُ مِصْرَ رَغْمَ
أَنَّهُ مَا زَالَ طِفْلاً.



وَأَصْبَحَ "قُطْرُ" نَائِبًا لَهُ، الَّذِي أَصْبَحَ الْحَاكِمَ الْفَعْلَى لِمِصْرَ فَعَمَلَ
عَلَى حِفْظِ كَرَامَةِ مِصْرَ، وَسَلَامَةِ أَرْضِيهَا، وَارْتَبَطَ بِعِلَاقَةٍ وَثِيقَةٍ
بِالشَّيْخِ "الْعَزْبَنِ عَبْدِ السَّلَامِ"، قَاضِي قُضَاةِ مِصْرَ، وَسَانَدَ قُطْرُ فِي
حُكْمِ مِصْرَ بِالْعَدْلِ وَالنَّزَاهَةِ.



وَتَوَالَتِ الْأَخْبَارُ السَّيِّئَةُ عَلَى الْقَاهِرَةِ بِسُقُوطِ بَغْدَادَ فِي يَدِ الْمَغُولِ،
وَقَتْلِ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَعْصِمِ بِاللَّهِ وَتَحَرُّكَتْ جَحَافِلُ الْمَغُولِ نَحْوَ الشَّامِ
فَسَقَطَتْ مَدَنُهَا الْكُبْرَى فِي يَدِ "هُولاكو"، وَكَانَتْ مَصْرُ التَّالِيَةِ لِلْمَغُولِ،
وَأَرْسَلَ "هُولاكو" رِسَالَةً تَهْدِيدَ لِقُطْرَ، وَكَانَتْ فَحْوَى الرِّسَالَةِ إِمَّا
الْإِسْتِسْلَامَ وَإِمَّا الْمَوْتَ.



فَقَامَ قُطْرُ بَقْطَعِ أَغْنَاقِ وَفَدَ "هُولَاكُو"، وَنَادَى بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ، وَبَدَأَ الْأَسْتَعْدَادَ لِلْمَعْرَكَةِ الْفَاصِلَةِ مَعَ الْمَغُولِ، وَرَجَعَ بَعْضُ
الْمَمَالِيكِ - وَمِنْ بَيْنِهِمْ بَيْبَرْسُ - مِنَ الشَّامِ إِلَى مِصْرَ لِيَشْتَرِكُوا فِي
قِتَالِ الْمَغُولِ.



وَكَلَّفَ "قُطْرُ" الشَّيْخَ "الْعَزَبْنَ عَبْدَ السَّلَامِ" بَضْرُورَةَ أَنْ يَعْمَلَ عَلَى
أَنْ تَظَلَّ الرُّوحُ الْحَمَاسِيَّةُ بَيْنَ أَفْرَادِ الشَّعْبِ مُتَقَدِّةً فِي الصُّدُورِ وَذَلِكَ
بِالْقَاءِ الْخُطْبِ الْحَمَاسِيَّةِ هُوَ وَالشُّيُوخُ الْآخَرُونَ.
وَتَحَرَّكَتْ مُقَدِّمَةُ الْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ بِقِيَادَةِ "بَيْبَرَسَ" فِي شَرْقِ الْبِلَادِ،
وَهُنَاكَ فِي أَرْضِ فَلَسْطِينَ اتَّخَذَتْ مُقَدِّمَةُ جَيْشِ الْمَغُولِ، فَانْتَصَرَتْ
عَلَيْهِنَّ الْقُوَّاتُ الْمِصْرِيَّةُ.



وَوَصَلَ قُطْرُ إِلَى فَلَسْطِينَ وَانْضَمَّ بِجَيْشِهِ مَعَ جَيْشِ "بَيْبَرْس"، وَصَارَ
الْجَيْشُ كُلُّهُ إِلَى مَنْطَقَةِ "عَيْنِ جَالُوتَ" حَيْثُ يُعَسِّكِرُ جَيْشُ الْمَغُولِ
بِقِيَادَةِ "كُتْبَغَا" - حَيْثُ سَافَرَ هُوَ لَاكُوَ إِلَى بِلَادِهِ لِاخْتِيَارِ الْخَانَ
الْأَعْظَمِ الْجَدِيدِ، لِأَنَّ الْخَانَ الْأَعْظَمَ مَاتَ.



وَالْتَقَى الْجَيْشَانِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْمُوَافِقَ ٢٥ رَمَضَانَ عَامَ ٦٥٨ هـ - ٣
سبتمبر عام ١٢٦٠ م - وَحَاوَلَ بَعْضُ الْفُرْسَانِ الْمَغُولُ أَنْ يَقْتَرِبُوا مِنْ
قُطْرُ فِي مُحَاوَلَةٍ لِقَتْلِهِ، فَأُصِيبَ أَعْلَى ذِرَاعِهِ، وَصَاحَ الْمَغُولُ: قُتِلَ
قُطْرُ، وَحَدَّثَ ارْتِبَاكٌ فِي صُفُوفِ الْجَيْشِ الْمَصْرِيِّ عِنْدَ سَمَاعِهِمْ هَذَا
الصِّيَاحَ إِلَّا أَنَّ قُطْرُ قَامَ بِخَلْعِ خَوْدَتِهِ النُّحَاسِيَّةِ الَّتِي تَحْمِي رَأْسَهُ
وَأَلْقَاهَا عَلَى الْأَرْضِ، وَصَاحَ بِكُلِّ قُوَّةٍ: وَإِسْلَامَاهُ... وَإِسْلَامَاهُ.



وَأَلْهَبَتْ هَذِهِ الصَّيْحَاتُ حَمَاسَةً كُلَّ الْجُنُودِ، فَانْطَلَقُوا بِكُلِّ قُوَّةٍ
صَوْبَ الْجَيْشِ الْمَغُولِيِّ، وَاسْتَطَاعَ "قُطْرُ" قَتْلَ "كُتْبَغَا" قَائِدِ الْمَغُولِ،
فَصَاحَ الْمَصْرِيُّونَ: وَإِسْلَامَاهُ.. قُتِلَ كُتْبَغَا.. وَانْهَزَمَ جَيْشُ الْمَغُولِ شَرَّ
هَزِيمَةٍ فِي مَعْرَكَةِ "عَيْنِ جَالُوتَ" بِقِيَادَةِ الْقَائِدِ الْمُسْلِمِ الْفَذِّ "سَيْفِ
الْإِسْلَامِ قُطْرُ"، وَبَعْدَ الْمَعْرَكَةِ جُمِعَ كُلُّ أَفْرَادِ جَيْشِهِ وَصَلَّى بِهِمْ صَلَاةَ
شُكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى هَذَا النَّصْرِ، وَأُرْسِلَ رِسَالَةٌ إِلَى الْقَاهِرَةِ تَحْبِيرُ
سُكَّانَهَا بِنَبَأِ هَذَا النَّصْرِ الْكَبِيرِ عَلَى الْمَغُولِ.



وفى طريق العودة وعند بلدة "الصالحية" طلب قطز من جيشه أن يتوقف للراحة وتأمّر "بيبرس" مع بعض المماليك على قتل "قطز" الذى كان ينوى أن يترك الحكم لـ "بيبرس"، ولكن هذا الأخير لم يمهله فتخلص منه.

هكذا مات البطل "قطز" بطعنات الغدر والخيانة، مات بعد أن حقق أعلى أمنيه وهى تحقيق الانتصار الساحق على المغول الذى أدى إلى انحسار نفوذهم فى المنطقة العربية نهائياً.

